سلسلة المعارك والغزوات

غزوة بدر

إعداد

حلمى الخولى

رسوم

ماهر عبد القادر



أقبلَت روائحُ الصيفَ ، وخرجَتْ قريشٌ بتجارتِهَا إلى الشامِ ، وعلمَ النبيُّ ﷺ بذلكَ فأرسلَ طلحةَ بنَ خويلد وسعيدَ بنَ زيد إلى الشامِ للوقوفِ على أمرِ هذه الرحلةِ.

ونجحَ الاثنانِ في مهمتِهِمَا التي أُسندتْ إليهِمَا وعَادا إلى المدينةِ ليخبرا النبيَّ ﷺ بأنَّ قافلةً لقريشٍ تهبطُ من أطرافِ الشامِ، يقودُهَا أبوسفيانَ بنُ حربٍ ومعَهُ أربعونَ أربعونَ رجلا لحمايةِ القافلةِ التي تضمُّ ألفَ بعيرٍ محملةً بالبضائعِ والأموالِ وتُقدَّرُ قيمتُها بأكثرَ من خمسينَ ألفَ دينار ذهبيٍّ.

فرحَ النبيُّ ﷺ بالخبرِ؛ لأنَّ المسلمينَ لو تمكَّنُوا منَ الاستيلاءِ على هذهِ القافلةِ فسيعلمُ الكفارُ أنَّ للمسلمينَ قوةً تحميهم، ويكونُ فيها بعضُ العوضِ للمسلمينَ عن الأموال التي استولَى عليهَا الكُفَّارُ حينَ هاجرَ المسْلمُونَ من مكةَ إلى المدينةِ ، فقالَ الرسولُ ﷺ محفزًا المسلمينَ على القتالِ :«هذهِ عيرُ قريشٍ فيهَا أموالُهم فاخرجُوا إليهَا لعلَّ اللهَ ينفلُكمُوها».





وعلى الفورِ استعدَّ أصحابُ النبيِّ ﷺ وخرجَ معهُ للقتالِ حوالي (٣١٧) رجلا من المهاجرين والأنصارِ.

وكانَ أبو سفيانَ رجلا ذكيا يحتاطُ للأمرِ قبلَ وقوعِهِ، وقد علمَ أنَّهُ سيكونُ على مقربةٍ من المدينةِ بعدَ قليلٍ، وفيها يتجمعُ المسلمونَ، فقالَ في نفسِهِ: لعل المسلمينَ يتربصونَ بنا الآن.

خرجَ أبو سفيانَ يستطلعُ الأمرَ فتقابلَ مع أعرابيٍّ عندَ ماءِ بدرٍ فسألَهُ عن المسلمينَ، فأجابَهُ بأنَّهُ لم يرَ أحدًا سوى رجلينِ كانا يقفانِ هناكَ خلفَ هذا التلِّ، وكانا يسقيانِ الماءَ.

ذهبَ أبو سفيانَ حيثُ أشارَ الأعرابي فوجدَ بعضَ فضلاتِ البعيرِ فأخذَهُ وفركَهُ بيدِهِ، فوجدَ بهِ بعضَ النَّوى فقالَ: إنَّ هذهِ علائفُ يثربَ. وعلمَ أبو سفيانَ أنَّ حدسهُ قد صدقَ وأنَّ المسلمونَ سيخرجونَ لاعتراضِ القافلةِ والاستيلاءِ عليها؛ فأرسلَ إلى قريشٍ ضمضمَ بن عمروٍ الغفاري ليخبرهُم بالأمرِ.

وما إنْ وصلَ إلى مكةَ حتَّى نادى بأعلى صوتهِ:

يا معشر قريش ، أموالكُم مع أبي سفيانَ قد عرضَ لها محمدٌ وأصحابُهُ فأدركُوهَا .. الغوث الغوث .

هبَّ رجالُ قريشٍ لنجدةِ القافلةِ واتجهوا نحو ماء بدرٍ.

غيَّر أبو سفيانَ طريقَ القافلةِ، واستطاعَ النجاةَ بهَا ، وأرسلَ إلى قريشٍ رجلا يخبرهُم بذلكَ، ويطمئنُهُم على سلامةِ أموالهم ، ويحثُّهم على العودةِ إلى مكةَ.. فنادى الرجلُ بأعلى صوتهِ:

يا معشر قريشٍ: يقولُ لكم أبو سفيانَ إنَّكم خرجتم للدفاع عن أموالكم وتجارتكُم فنجأها اللهُ فارجعوا إلى بلدِكُم مكةَ.

ولكنْ أبا جهلٍ قال: واللهِ لا نرجعُ حتَّى نأتي ماءَ بدرٍ فنقيم حولهُ ثلاثةَ أيامٍ نذبحُ الإبلَ، ونطعمُ الطعامَ، ونستمتعُ بالغناء،





ونشربُ الخمرَ، وتسمعُ العربُ، ليظلُّوا يهابونَنَا أبدًا.

ولكنَّ بني زهرة لم يسمعوا لأبي جهلٍ، وعادُوا إلى مكةَ.

تأكّدَ الرسولُ ﷺ أنَّه سوفَ يقاتِلُ قريشًا بعدَ ما علِمَ بخروجهَا للقتالِ، فاجتمعَ معَ أصحابِهِ، وأخبرَهُم بذلكَ، ولكن بعض الصحابةِ رأوا عدم مقاتلة قريش وقالوا:

يا رسولَ اللهِ ليستْ لنَا قوةٌ على مواجهةِ عدوِّنَا، ونحنُ لم نخرجْ للقتالِ، وإنَّما خرجْنَا من أجلِ القافلةِ.

لم يستجبْ النبيُّ ﷺ لهذا الرأيِ قبلَ أنْ يعرفَ رأيَ باقي المسلمينَ حرصًا منهُ على مبدأ الشُّورَى، فقالَ ﷺ:

«ماذَا ترونَ في قتالِ القومِ؟».



قام أبو بكر – رضىَ اللهُ عنهُ – فتكلمَ وأحسنَ الكلامَ، ثمَّ قامَ عمرُ بنُ الخطابِ – رضىَ اللهُ عنهُ – وقالَ : يا رسولَ اللهِ إنَّها قريشٌ وعزُّها ، واللهِ لتقاتلنَّك فأعدَّ لذلكَ عدتَهُ .

وقالَ المقدادُ بنُ عمرو : يا رسولَ اللهِ : امضِ لِمَا أمركَ اللهُ به ، فنحن معكَ ، واللهِ لا نقولُ كما قالَتْ بنو إسرائيلَ لموسَى : اذهبْ أنت وربُّكَ فقاتلا إنَّا ها هنَا قاعدونَ ، ولكن نقولُ :

اذهبْ أنتَ وربُّكَ فقاتلا إنَّا معكُمَا مقاتلونَ .

استمع الرسول ﷺ إلى رأى المهاجرينَ ، وأراد أن يعرفَ رأى الأنصارِ فقال : « أشيروا علىَّ أيُّها النَّاسُ » .

فهم الصحابيُّ سعد بنُ معاذٍ أنَّ النبيَّ ﷺ يقصدُ الأنصارَ بقولِهِ ، فقالَ :

واللهِ لكأنَّكَ تريدُنَا يا رسولَ اللهِ ؟



قال النبيُّ ﷺ : أجَلْ.

قالَ سعدٌ: قد آمنَّا بك وصدَّقْنَاكَ، وشهِدْنَا أن ما جئتَ بهِ هُوَ الحق ، وأعطيناكَ على ذلكَ عهودَنَا ومواثيقَنَا على السمع والطاعةِ، فامضِ يا رسولَ اللهِ لِمَا أردْتَ، فو الذى بعثكَ بالحقِّ لو استعرضْتَ بنَا هذا البحرَ فخضتَهُ لخضْنَاهُ معكَ، ما تخلَّفَ مِنَّا رجلٌ واحدٌ، وما نكرَهُ أنْ تلقَى بنَا عدوَّنَا غداً ، إنَّا لصابرونَ فى الحربِ، لصادقونَ عندَ لقاءِ العدوِّ، ولعلَّ اللهَ يريكَ منَّا ما تقرُّ بهِ عينُكَ.

خرجَ النبيُّ ﷺ يستطلعُ أحوالَ العدوِّ ومكانَهُ ؛ ليعرفَ كلَّ شيءٍ عنهُ قبل لقائِه، واصطحبَ معهُ أبا بكر الصّدِّيق فقابلا رجلا من العربِ فسألَهُ النبيُّ ﷺ عن مكانِ قريشٍ والمسلمينَ ، فقالَ الرجلُ:

لا أخبرُكُما حتَّى تخبراني ممنْ أنتُمَا ؟

قال النبيُّ ﷺ إذا أخبرتنَا أخبرنَاكَ .

فقال الرجلُ : بلغَنِي أنَّ محمداً وأصحابَهُ خرجُوا يومَ كذا ، فإنْ كانَ الذى أخبرني صادقًا فهم اليوم بمكان كذا وكذا (وأخبر عن المكان الذى فيهِ المسلمونَ) ، وبلغني أنَّ قريشًا خرجتْ يوم كذا وكذا ، فإنْ كانَ الذى أخبرني صادقًا فهم اليومَ بمكان كذا وكذا (وأشار على مكانِ قريشٍ) ، هذا ما عندى فممن أنتما ؟

أرادَ النبِّيُ ﷺ أنْ يحافظَ على أسرارِ المسلمينَ ، وفى الوقتِ نفسِهِ أرادَ ألا يكذبَ ، فقالَ للرجلِ : « نحنُ من ماءٍ » .

وظنَّ الرجلُ أنَّ النبِّي ﷺ وصاحبَهُ من قبيلةٍ تُسمى « ماء » مع أنَّ النبيَّ أرادَ بقولِهِ





أنَّهما مخلوقانِ من ماءٍ.

لم يكتفِ النبيُّ ﷺ بما سمعَ منَ الرجلِ عن مكانِ العدوِّ، بل أرادَ أنْ يعرفَ عددَ الأعداءِ وعُدَّتَهُم ؛ ليستطيعَ وضعَ خطَّتِهِ الحربيةِ.

فأرسلَ ثلاثةً من أهلِ بيتهِ هم: عليُّ بن أبي طالبٍ، وسعدُ بنُ أبي وقاصٍ، والزبيرُ بنُ العوّامِ، ليأتوه بأخبارِ قريشٍ؛ فوجدوا غلامَيْنِ من مكةَ فأتَوا بهمَا ، وعرفَ النبيُّ ﷺ أنهم من سقاةِ قريشٍ ، فسألَهم : «أينَ قريشٌ؟».

فقالا : وراءَ هذا التلِ بالعُدْوةِ القُصْوى.

فقالَ النبيُّ ﷺ : كم عددُ القومِ؟

قالا :هم كثيرٌ.



فقال النبيُ ﷺ : كم ينحرونَ كلُ يومٍ؟

قالا : يذبحون يومًا تسعًا من الإبلِ ويومًا عشرًا .

وهنا ظهر ذكاء النبيُ ﷺ في تحديد عدد الكفَّارِ فقالَ لأصحابهِ:

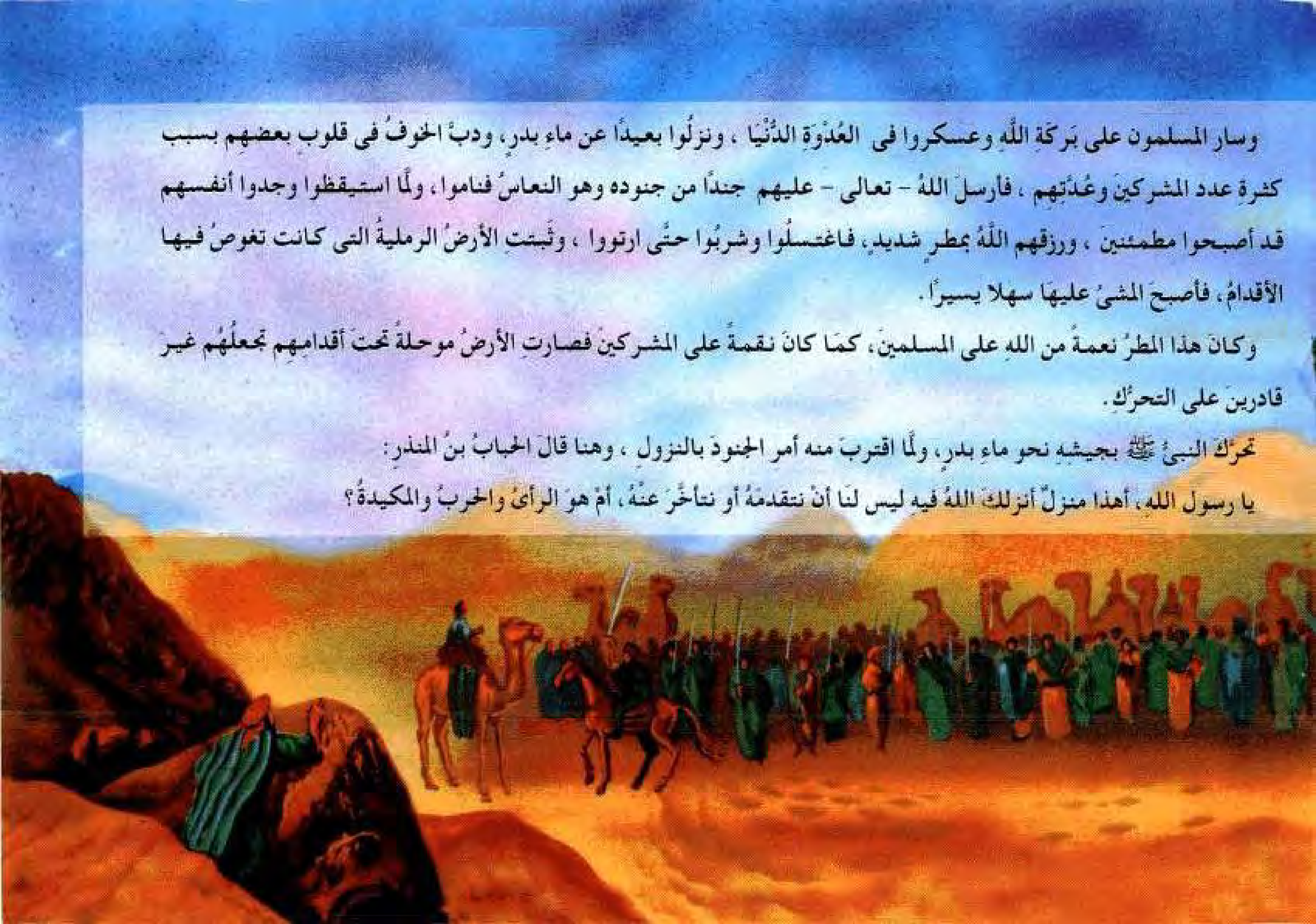
«القومُ ما بينَ التسعمائةِ والألفِ».

وسألَ النبيُ ﷺ الغلامينِ وقالَ: ومن فيهم من أشراف قريشٍ؟.

فقالا : كثير ، منهم : عتبةُ بنُ ربيعة ، وأخوه شيبة ، وأبو جهلٍ ، وأميةُ بنُ خلفٍ ، وغيرهُم .

قال النبيُ ﷺ : «هذه مكةُ قد ألقتْ إليكمُ أفلاذَ أكبادِهَا».

أمر النبيُ ﷺ أصحابَهُ بالاستعداد للقتالِ وهو واثقٌ في نصر اللهِ الذى وعدهُ به.



وسار المسلمون على بَركَةِ اللهِ وعسكروا في العُدْوَةِ الدُّنْيَا ، ونزلُوا بعيدًا عن ماءِ بدرٍ، ودبَّ الخوفُ في قلوبِ بعضِهم بسبب كثرةِ عدد المشركينَ وعُدَّتِهم ، فأرسلَ اللهُ - تعالى - عليهم جندًا من جنوده وهو النعاسُ فناموا ، ولمَّا استيقظوا وجدوا أنفسهم قد أصبحوا مطمئنينَ ، ورزقهم اللَّهُ بمطرٍ شديدٍ، فاغتسلُوا وشربُوا حتَّى ارتووا ، وثَبتتِ الأرضُ الرمليةُ التي كانت تغوصُ فيها الأقدامُ، فأصبحَ المشيُ عليها سهلا يسيراً.

وكانَ هذا المطرُ نعمةً من اللهِ على المسلمينَ، كمَا كانَ نقمةً على المشركينَ فصارتِ الأرضُ موحلةً تحتَ أقدامِهم تجعلُهُم غيرَ قادرينَ على التحرُّكِ.

تحرَّكَ النبيُّ ﷺ بجيشِهِ نحو ماءِ بدرٍ، ولمَّا اقتربَ منه أمرَ الجنودَ بالنزولِ ، وهنا قالَ الحبابُ بنُ المنذرِ:

يا رسولَ اللهِ، أهذا منزلٌ أنزلكَ اللهُ فيهِ ليس لنَا أنْ نتقدمَهُ أو نتأخَّرَ عنهُ، أمْ هوَ الرأيُ والحربُ والمكيدةُ؟

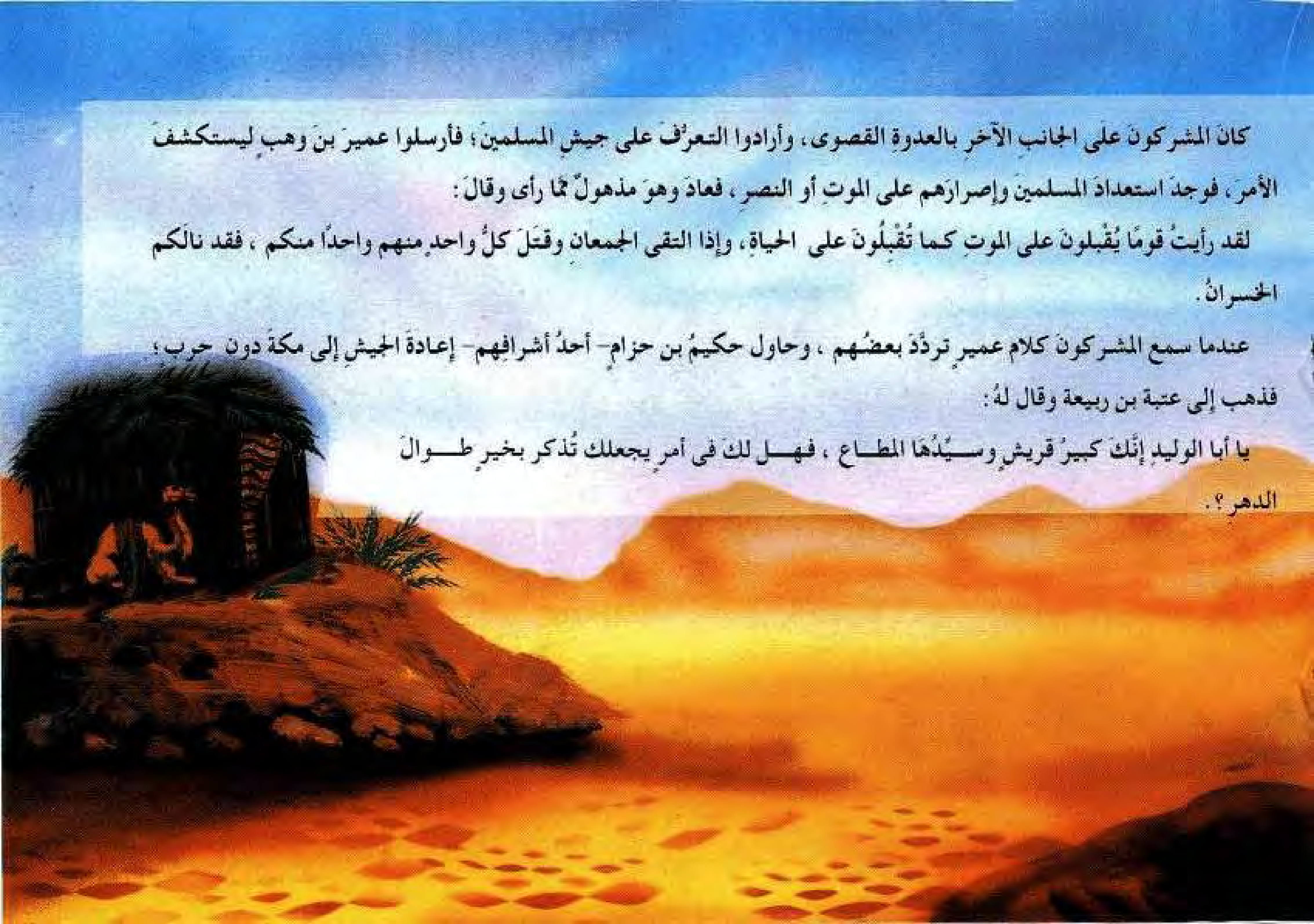


قال النبيُّ ﷺ بل هوَ الرأيُ والحربُ والمكيدةُ؟

قال الحبابُ: يَا رسولَ اللهِ إن هذا ليسَ بمنزلٍ، فانهضْ بالناسِ حتَّى تأتي أقرب بئرِ ماءٍ من القومِ فنعسكرَ فيه ونبني عليْهِ حَوْضًا فنملؤهُ ماءً، ثُمَّ نردمُ باقي الآبارِ بالحصىَ والرمالِ، فنشربُ ولا يشربُ الكفَّارُ.

قال النبيُّ ﷺ: لقدْ أشرت بالرأي.

وأمر النبيُّ ﷺ بتنفيذِ ما قالهُ الحبابُ بنُ المنذرِ. فبنى المسلمون حوضًا كبيرًا وملؤوهُ بالماءِ ليسهلَ الشربُ منهُ.

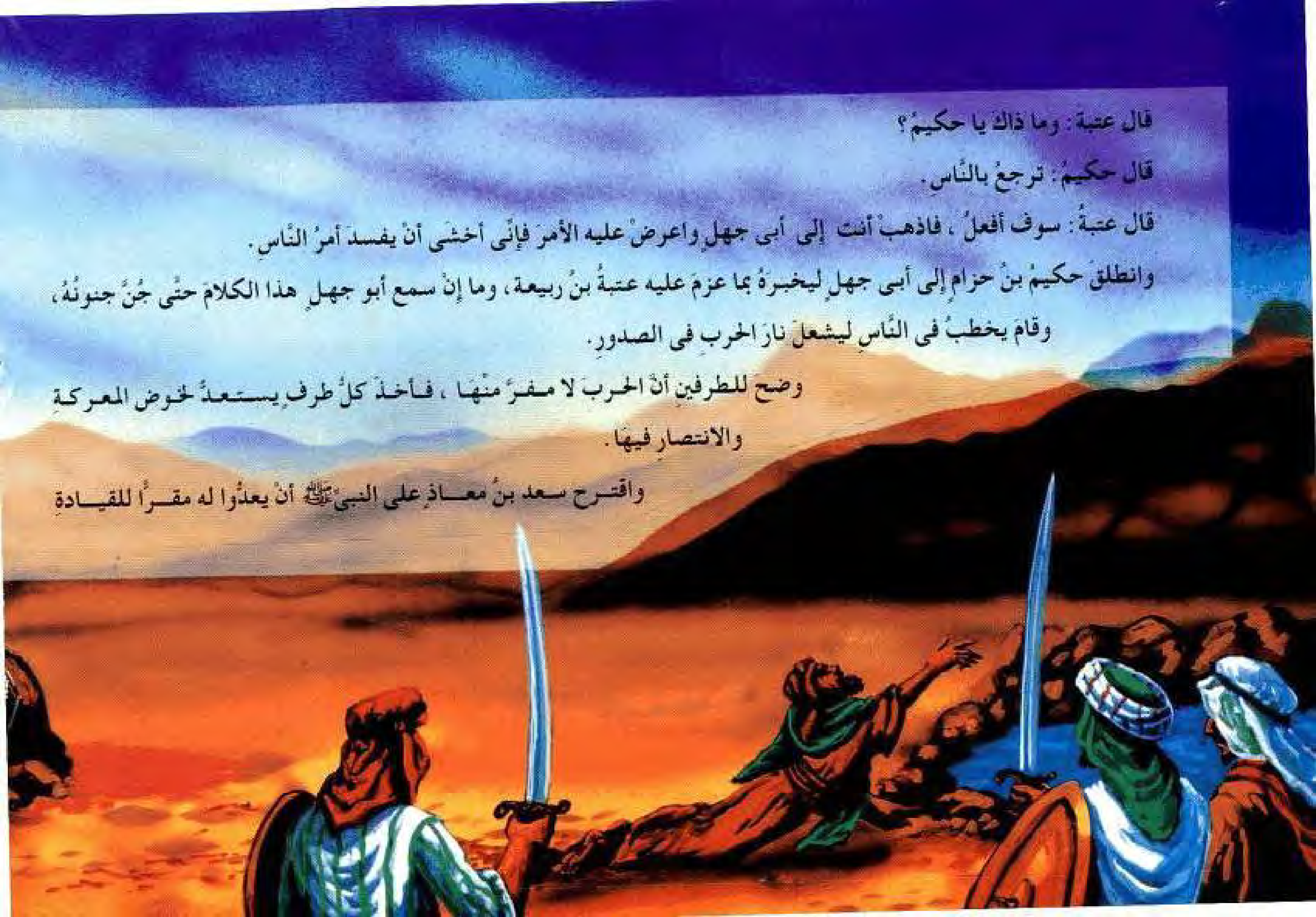


كانَ المشركونَ على الجانبِ الآخرِ بالعدوةِ القصوى، وأرادوا التعرُّفَ على جيشِ المسلمينَ؛ فأرسلوا عميرَ بنَ وهبٍ ليستكشفَ الأمرَ، فوجدَ استعدادَ المسلمينَ وإصرارَهم على الموتِ أو النصرِ، فعادَ وهوَ مذهولٌ مما رأى وقالَ:

لقد رأيتُ قومًا يُقبلونَ على الموتِ كما تُقبِلُونَ على الحياةِ، وإذا التقى الجمعانِ وقتلَ كلُّ واحدٍ منهم واحدًا منكم، فقد نالَكم الخسرانُ.

عندما سمع المشركونَ كلام عميرٍ تردَّدَ بعضُهم، وحاول حكيمُ بن حزامٍ- أحدُ أشرافِهم- إعادةَ الجيشِ إلى مكةَ دون حربٍ؛ فذهب إلى عتبة بن ربيعة وقال لهُ:

يا أبا الوليدِ إنَّكَ كبيرُ قريشٍ وسيِّدُها المطاع، فهل لكَ في أمرٍ يجعلك تُذكر بخيرٍ طوالَ الدهرِ؟.



قال عتبة: وما ذاكَ يا حكيمُ؟

قال حكيمُ: ترجعُ بالنَّاسِ.

قال عتبةُ: سوف أفعلُ، فاذهبْ أنت إلى أبى جهلٍ واعرضْ عليه الأمرَ فإنِّى أخشى أنْ يفسدَ أمرُ النَّاسِ.

وانطلقَ حكيمُ بنُ حزامٍ إلى أبى جهلٍ ليخبرهُ بما عزمَ عليه عتبةُ بنُ ربيعة، وما إنْ سمع أبو جهلٍ هذا الكلامَ حتَّى جُنَّ جنونُهُ، وقامَ يخطبُ فى النَّاسِ ليشعلَ نارَ الحربِ فى الصدورِ.

وضحَ للطرفينِ أنَّ الحربَ لا مفرَّ منْها، فأخذَ كلُّ طرفٍ يستعدُّ لخوضِ المعركةِ والانتصارِ فيهَا.

واقترح سعد بنُ معاذٍ على النبىِّ ﷺ أنْ يعدُّوا له مقرًّا للقيادةِ



ليتمكّن من خلاله من رؤية ساحة المعركة، وقال للنبيّ ﷺ :

إنْ نصرنا اللهُ على عدوِّنا كان ذلك ما أحببْنا ، وإن كانت الهزيمةُ ركبتَ ناقتك، ولحقتَ بقومنا في المدينة فهم يحبُّونك، يحميك الله بهم ، ويجاهدون معكَ ، فإنَّهم لو علموا أنَّكَ ستحارب ما تخلَّفوا عنْكَ.

وافق النبيّ ﷺ على اقتراحِ سعد ، وقام المسلمونَ ببناء مقرٍّ للقيادةِ يباشرُ النبيُّ من خلاله ساحةَ القتال.

وفي صباح يومٍ عظيمٍ مشهودٍ هو السابع عشرَ من رمضان عام (٢ هـ) فوجِئ المشركونَ بسيطرةِ المسلمينَ على الماءِ ، ولم يجدوا ما يشربون هُم وإبلُهُم.

وقام رجلٌ من جيش المشركينَ هُوَ الأسود بنُ عبد الأسود وأقسمَ أنْ يشربَ من حوض المسلمينَ أو يُقتل دونَهُ ، ثم تقدَّمَ نحو الحوض ، فقام إليه حمزةُ بنُ عبدِ المطلب وأدركَهُ قبل أنْ يصل إلى الحوض ، وضربهُ ضربةً قطعتْ ساقهُ ، فوقع على

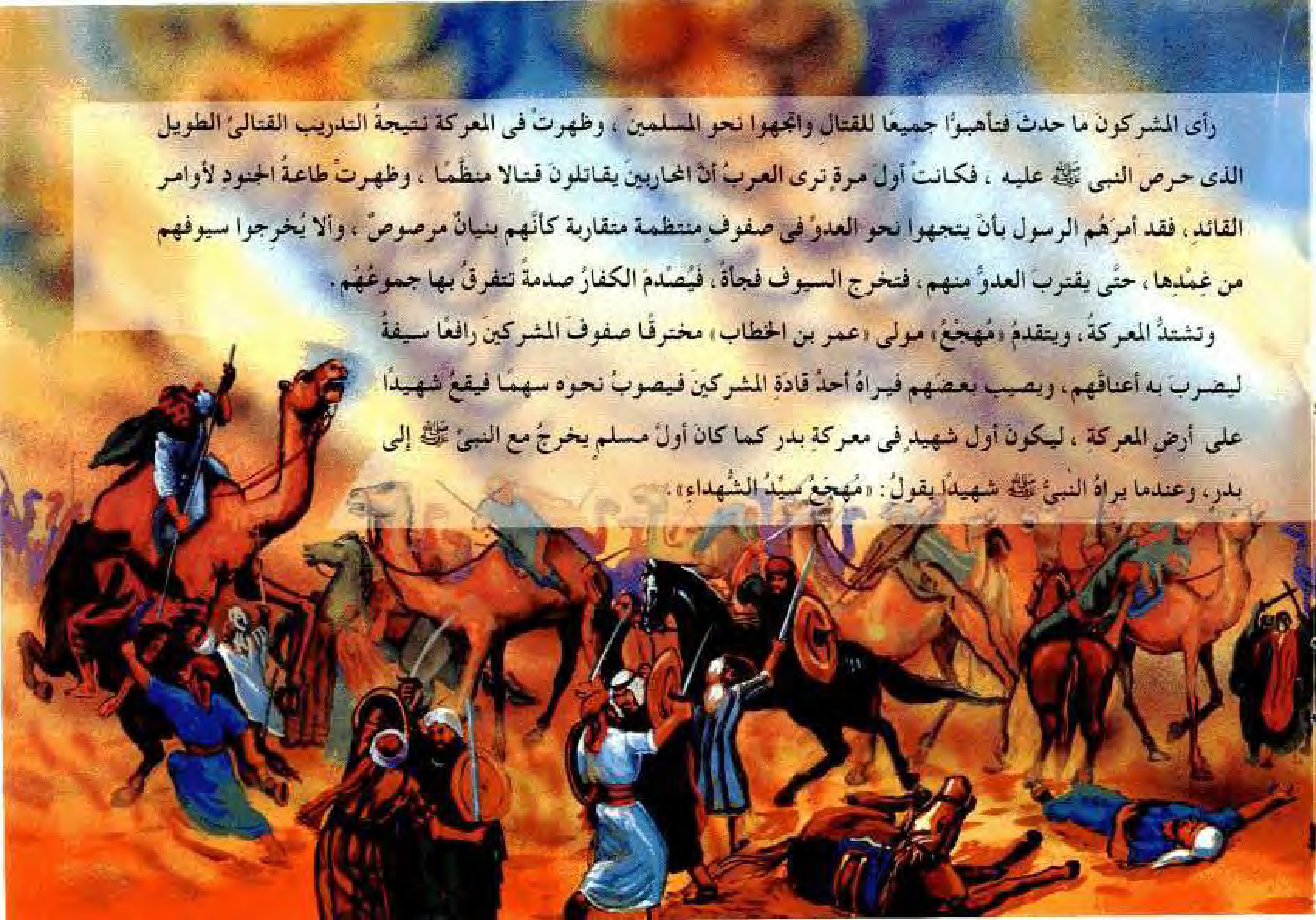


الأرضِ وقدمُهُ تنزِفُ دمًا ، فزحفَ حتَّى وصلَ إلى الحوضِ، ورمى بنفسهِ فيه فضربَهُ حمزةُ ضربةً ثانيةً ماتَ منها .

ازدادَ غيظُ المشركينَ مما حدثَ فتقدمَ ثلاثةٌ من قادتِهم هُمْ:

عتبةُ بن ربيعةَ وأخوه شيبةُ وابنُهُ الوليد بن عتبة، وطلبوا أنْ يخرجَ إليهم من يبارزهم فخرجَ لهم : عوفٌ ومعاذ ابنا عفراء، وعبد الله بنُ رواحةَ لكنَّهمُ رفضوا المبارزةَ، وطَلَبوا أن يبارزَهُم رجالٌ من قريشٍ،

فأمرَ النبيُّ ﷺ ثلاثةً من أهلِ بيتِهِ بالخروجِ إليهم هم : عَمهُ حمزةُ بنُ عبد المطَّلبِ وابنا عمه علي بن أبي طالبٍ وعبيدةُ بن الحارثِ بن عبد المطَّلبِ، فخرجَ الثلاثةُ فبارزَ عليٌّ الوليدَ فقتلَهُ، وبارز حمزةُ شيبةَ فقتلهُ، وبارز عبيدةُ عتبةَ فأصاب كل منهما الآخرَ بجراحٍ فانقضَّ عليٌّ وحمزةُ على عتبةَ فقتلاه، ثم حملا عبيدةَ إلى رسول الله ﷺ .



رأى المشركون ما حدثَ فتأهبوا جميعًا للقتالِ واتجهوا نحو المسلمينَ ، وظهرتْ في المعركة نتيجةُ التدريبِ القتاليِّ الطويل الذى حرص النبى ﷺ عليه ، فكانتْ أولَ مرةٍ ترى العربُ أنَّ المحاربينَ يقاتلونَ قتالا منظَّمًا ، وظهرتْ طاعةُ الجنودِ لأوامر القائدِ، فقد أمرَهُم الرسول بأنْ يتجهوا نحو العدوِّ في صفوفٍ منتظمة متقاربة كأنَّهم بنيانٌ مرصوصٌ ، وألا يُخرجوا سيوفهم من غِمْدِها ، حتَّى يقتربَ العدوُّ منهم، فتخرج السيوف فجأةً ، فيُصْدمَ الكفارُ صدمةً تتفرقُ بها جموعُهُم.

وتشتدُّ المعركةُ، ويتقدمُ «مُهجَعُ» مولى «عمر بن الخطاب» مخترقًا صفوفَ المشركينَ رافعًا سيفَهُ ليضربَ به أعناقَهم، ويصيب بعضَهم فيراهُ أحدُ قادةِ المشركينَ فيصوبُ نحوه سهمًا فيقعُ شهيدًا على أرضِ المعركةِ ، ليكونَ أول شهيدٍ في معركةِ بدرٍ كما كانَ أولَ مسلمٍ يخرجُ مع النبيِّ ﷺ إلى بدرٍ، وعندما يراهُ النبيُّ ﷺ شهيدًا يقولُ: «مُهجَعُ سيِّدُ الشُّهداءِ».



ولما حميَتِ المعركةُ كانَ النبيُّ ﷺ في مقرِّ قيادَتِهِ يدعُو اللهَ قائلا: «اللهمَّ انجز لي ما وعدْتَني، اللهمَّ إنْ تَهْلِكْ هذه العصابةُ لا تُعْبَد في هذهِ الأرضِ أبدًا».

ثمَّ خرجَ من مقرِّ قيادَتِهِ ليحثَّ المسلمينَ على القتالِ، ويرغبهم في جنَّةٍ عرضُهَا السماواتُ والأرضُ، وكانَ «عميرُ بنُ الحُمَامِ» يأكلُ بعضَ التمراتِ، فلمَّا سمعَ كلامَ الرسولِ ﷺ سألَهُ في لهفةٍ وشوقٍ:

يارسولَ اللهِ، جنَّةٌ عرضُهَا السماواتُ والأرضُ؟

فقالَ النبيُّ ﷺ: نعم.

فاستبشرَ «عمير» وهو ينظرُ إلى التمراتِ التي في يده،



ووجدَ الوقتَ الذى سوفَ يأكلُ فيه التمراتِ زمنًا طويلا جدًا يحولُ بينه وبينَ دخولِ الجنَّةِ ؛ فرمى التمرات الذى فى يدهِ وتقدَّمَ نحوَ العدوِّ مسرعًا ، واستَبْسَلَ فى القتالِ حتَّى لقى ربَّه شهيدًا.

ولَّما حَمِىَ القتالُ اشتركَ الرسولُ ﷺ فى المعركةِ ، وكانَ أقربَ المقاتلينَ إلى العدو ، ولسانُهُ لا يكفُّ عن ترديد قولةِ تعالى: «سَيُهْزَمُ الجمعُ ويولُّونَ الدُّبُرَ».

ظهرتْ على ساحة المعركة بطولاتٌ عظيمةٌ للمسلمينَ، وكانَ فارس ذلكِ اليومِ «على بن أبى طالب» الذى كانَ يقاتلُ على قدميةِ بدونِ فرسٍ ، ولكنَّهُ بإيمانِهِ وقدرتِهِ على القتال كانَ كالأسدِ فى ساحةِ المعركةِ ، يقاتلُ أحدَ الأعداء فيقتلُهُ ، ويرى أخًا فى شدةٍ فيجرى نحوهُ لنجدتِهِ، وقد بلغَ عددُ منْ قَتَلَهُم أو شاركَ فى قتلِهم من الأعداء فى ذلكَ اليومِ اثنينِ وعشرينَ رجلا ، فأصبحَ «علىٌّ» من ذلكَ اليومِ بطلا من أبطالِ الحروبِ، ورمزًا من رموزِ بسالةِ المسلمينَ، ودلالةً على إيمانِ المسلمينَ.



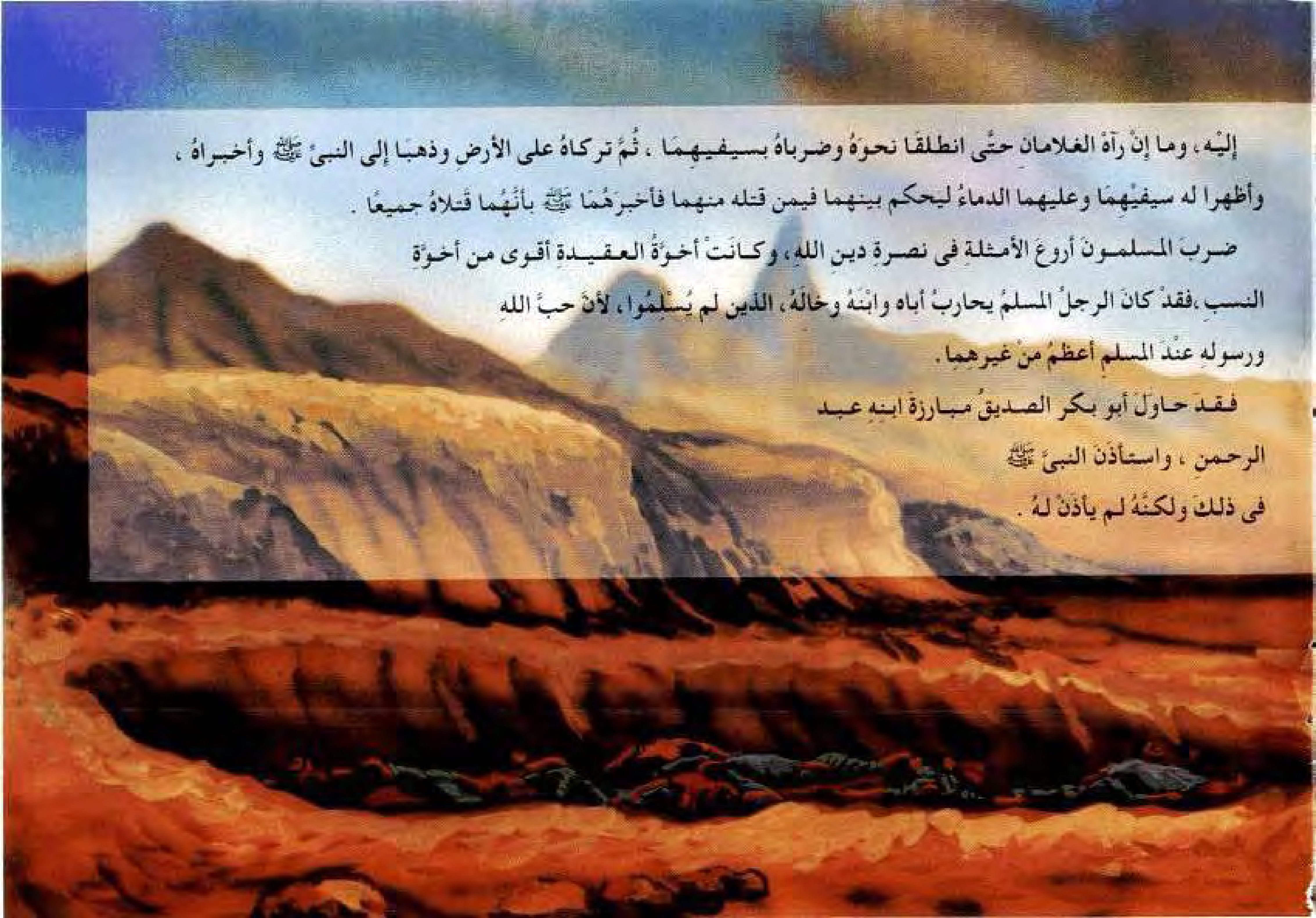
وثباتهم وإحسانهم فنَّ القتالِ.

وظهر مع عليٍّ أبطال آخرون كانَ أولهم بعدَ عليٍّ عمُّهُ حمزةُ بنُ عبدِ المطَّلبِ، وأبو عبيدة بنُ الجراحِ، والزبيرُ بنُ العوامِ، وأبو دجانةَ، والحبابُ بنُ المنذرِ، وسعدُ بنُ الربيعِ، وعمروُ بن الجموحِ، وغيرهُم ممن أظهروا بطولاتٍ عظيمةً فى قتالِ المشركينَ، وكانوا سببًا فى نصرِ المسلمينَ.

وتقدمَ المسلمونَ نحو عدوِّهم، تلوحُ لهم بشائرُ النصرِ، وتظهرُ ملامحُ الهزيمةِ للكفارِ، فالمسلمونَ يشبعونَهُم ضربًا وقتلا وأسرًا، وأبو جهلٍ يجولُ فى أرضِ المعركةِ يحيطُ به قومُهُ من كلِّ مكانٍ خوفًا على حياتِه.

ويحاولُ أبو جهل أنْ يوقفَ الهزيمةَ فينادى فى المشركينَ حتَّى يثبتوا أمامَ المسلمينَ ولكنَّ نداءه لم يُفلحْ.

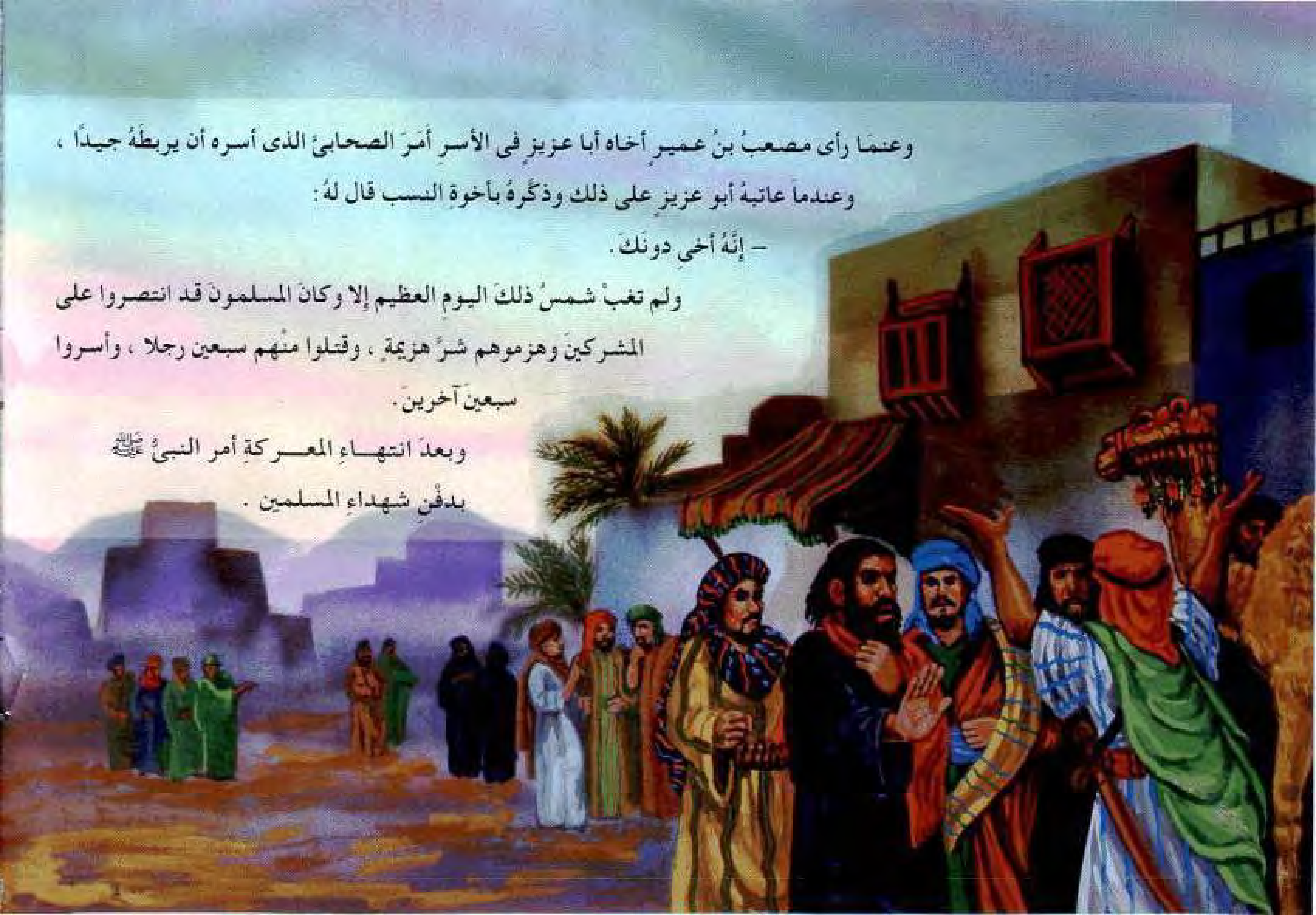
وفى هذه اللحظاتِ كانَ غلامانِ يتأهّبان لقتلِ أبى جهلٍ، ولكنَّهما لا يعرفانه، فسألا عنْهُ عبدَ الرحمنِ بنَ عوفٍ فأشارَ لهما



إليه، وما إنْ رآهُ الغلامانِ حتَّى انطلقا نحوهُ وضرباهُ بسيفيهما ، ثُمَّ تركاهُ على الأرضِ وذهبا إلى النبيِّ ﷺ وأخبراهُ ، وأظهرا له سيفيْهِما وعليهما الدماءُ ليحكم بينهما فيمن قتله منهما فأخبرَهُما ﷺ بأنَّهما قتلاهُ جميعًا .

ضربَ المسلمونَ أروعَ الأمثلةِ في نصرةِ دينِ اللهِ، وكانَتْ أخوَّةُ العقيدةِ أقوى من أخوَّةِ النسبِ ،فقدْ كانَ الرجلُ المسلمُ يحاربُ أباه وابْنَهُ وخالَهُ، الذين لم يُسْلِمُوا، لأنَّ حبَّ اللهِ ورسولِه عنْدَ المسلمِ أعظمُ منْ غيرِهما .

فقدَ حاولَ أبو بكر الصديقُ مبارزةَ ابنِهِ عبد الرحمنِ ، واستأذنَ النبيَّ ﷺ في ذلكَ ولكنَّهُ لم يأذنْ لهُ .



وعندما رأى مصعبُ بنُ عميرٍ أخاه أبا عزيزٍ فى الأسرِ أمَرَ الصحابيَّ الذى أسره أن يربطَهُ جيداً ، وعندما عاتبهُ أبو عزيزٍ على ذلك وذكّرهُ بأخوةِ النسب قال لهُ:

- إنَّهُ أخي دونَكَ .

ولم تغبْ شمسُ ذلكَ اليومِ العظيمِ إلا وكانَ المسلمونَ قد انتصروا على المشركينَ وهزموهم شرَّ هزيمةٍ ، وقتلوا منهم سبعين رجلا ، وأسروا سبعينَ آخرينَ .

وبعدَ انتهاءِ المعركةِ أمر النبيُّ ﷺ بدفنِ شهداءِ المسلمين .



ودفن قتلى المشركين أيضًا ، فجُمعتْ جثثهم فى حفرةٍ كبيرةٍ، ثُمَّ وقفَ رسولُ اللهِ بأعلى القليبِ ونادى قتلى المشركينَ وقال : يا أبا جهلِ بن هشامٍ، ويا عتبةَ بنَ ربيعةَ، ويا شيبةَ بنَ ربيعةَ.. أيسُرُّكُم أنَّكم كنتم أطعتم اللهَ ورسولَه ، فإنَّا وجدنَا ما وعدَنَا ربُّنا حقًّا؟ فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا ؟

ويسمعُ عمرُ بنُ الخطابِ ذلكَ فيقولُ:

يا رسول الله تُكَلِّمُ أجسادًا لا أرواح فيها ؟

فقال ﷺ :«والذى نفسى بيدهِ ما أنتم بأسمعَ لِمَا أقولُ منْهُم».

وبعدَ أنْ قامَ النبىُّ ﷺ بدفنِ شهداءِ المسلمينَ وقتلى الكفارِ أعطَى ناقتهُ لزيد بن ثابت وأرسلَهُ إلى أهلِ المدينةِ ليبشِّرهُم بالنَّصْرِ لتطمئنَّ قلوبُهُم ، ويُفاجأُ زيدٌ عندَ وصوله بأنَّ اليهودَ قد أشاعوا أنَّ المسلمينَ قد هُزِموا ، وأنَّ النبىَّ ﷺ قد قُتِلَ وزادَ



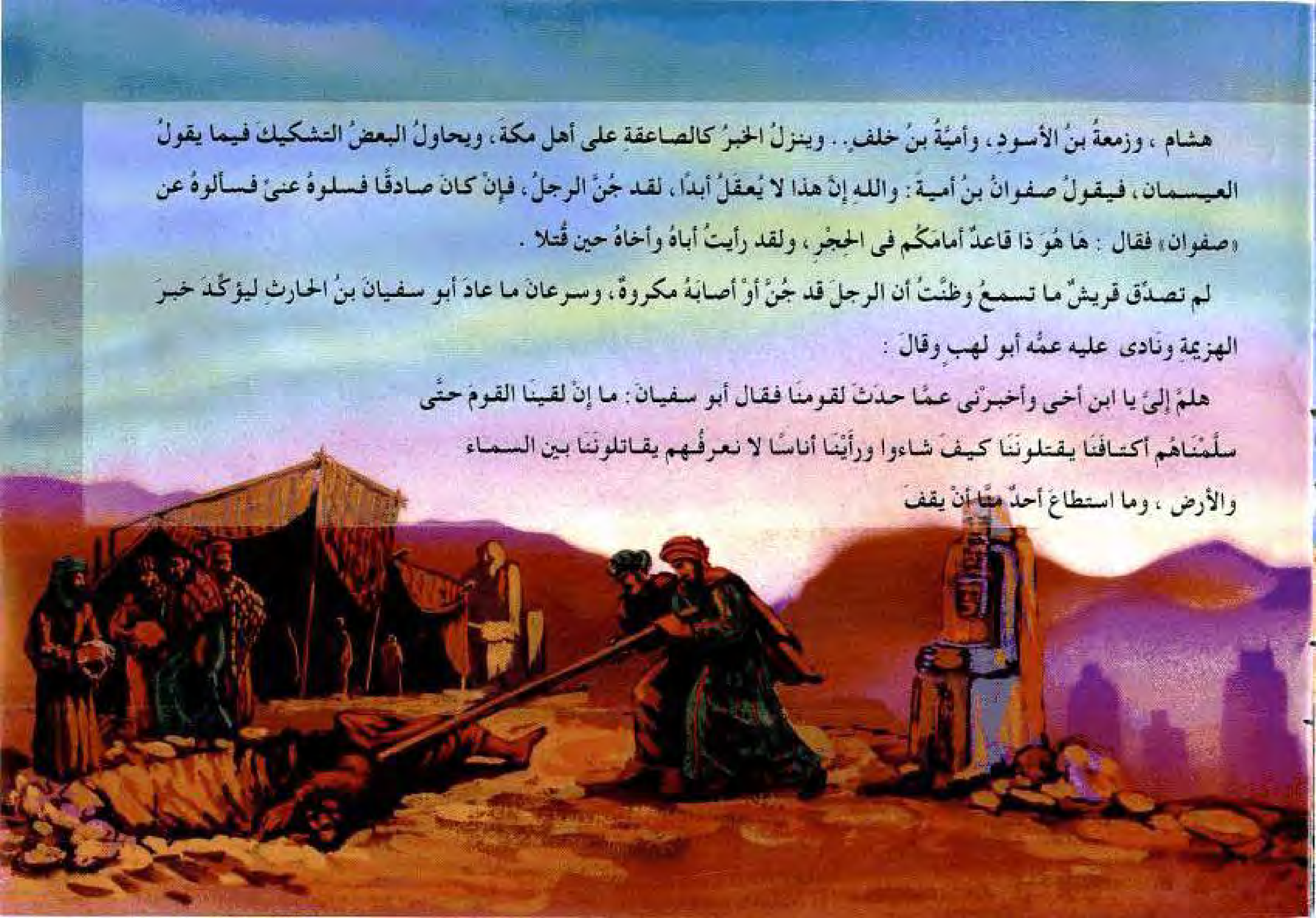
الشَّكُّ في قلوبِ المنافقينَ عندما وجدوا زيداً يركبُ ناقةَ الرسولِ.

وعندما رأى زيدٌ هذا نادى قائلا: قُتِلَ عتبةُ بنُ ربيعةَ، وأبو جهلِ بنُ هشامٍ، وزمعةُ بنُ الأسودِ، والعاصُ بنُ هشامٍ، وظلَّ زيدٌ ينقلُ بشرى النصرِ من مكانٍ إلى مكانٍ حتى أحاطَ المسلمون به، وتمَّ القضاءُ على الإشاعةِ التى أذاعها اليهودُ.

وتأكَّدَ أهلُ المدينةِ من انتصارَ المسلمينَ،؛ فكبَّروا وهلَّلوا واستعدُّوا لاستقبالِ النبيِّ ﷺ وأصحابِه.

وفى الوقتِ نفسِه أرادَ المشركونَ أنْ يُبْلغُوا أهلَ مكَّةَ بأخبارِ الهزيمةِ فأرسلُوا العَيْسُمَانَ بنَ إياسٍ إلى أهلِ مكةَ، فلمَّا وصلَ نادى بأعلى صوتهِ وقالَ:

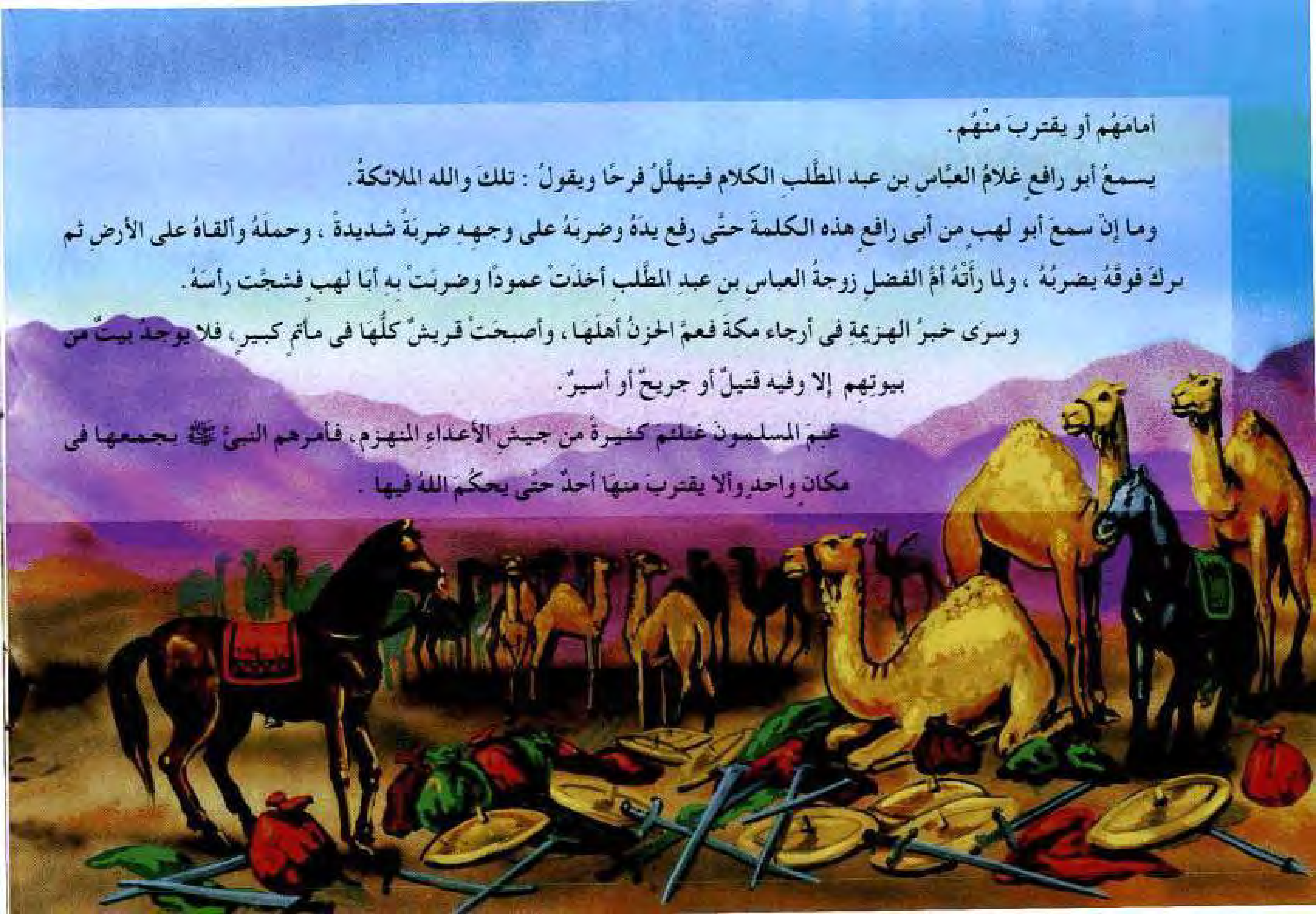
يا معشرَ قريشٍ: قُتِلَ عتبةُ بنُ ربيعةَ، وشيبةُ بنُ ربيعةَ، وأبو جهلِ بنُ



هشام ، وزمعةُ بنُ الأسودِ، وأميَّةُ بنُ خلفٍ. . وينزلُ الخبرُ كالصاعقةِ على أهل مكةَ، ويحاولُ البعضُ التشكيكَ فيما يقولُ العيسمان، فيقولُ صفوانُ بنُ أميةَ: واللهِ إنَّ هذا لا يُعقلُ أبدًا، لقد جُنَّ الرجلُ، فإنْ كانَ صادقًا فسلوهُ عنيّ فسألوهُ عن «صفوان» فقال : هَا هُوَ ذا قاعدٌ أمامَكُم فى الحِجْرِ، ولقد رأيتُ أباهُ وأخاهُ حين قُتلا .

لم تصدِّق قريشٌ ما تسمعُ وظنَّتْ أن الرجلَ قد جُنَّ أوْ أصابهُ مكروهٌ، وسرعانَ ما عادَ أبو سفيانَ بنُ الحارثِ ليؤكِّدَ خبرَ الهزيمةِ ونَادى عليه عمُّه أبو لهبٍ وقالَ :

هلمَّ إليَّ يا ابن أخى وأخبرْنى عمَّا حدثَ لقومِنَا فقال أبو سفيانَ: ما إنْ لقينَا القومَ حتَّى سلَّمْنَاهُم أكتافَنَا يقتلونَنَا كيفَ شاءوا ورأيْنَا أناسًا لا نعرفُهم يقاتلونَنَا بين السماءِ والأرض ، وما استطاعَ أحدٌ منَّا أنْ يقفَ



أمامَهم أو يقترب منْهُم.

يسمعُ أبو رافعٍ غلامُ العبَّاسِ بن عبد المطَّلبِ الكلام فيتهلَّلُ فرحًا ويقولُ : تلكَ والله الملائكةُ.

وما إنْ سمعَ أبو لهبٍ من أبي رافعٍ هذه الكلمةَ حتَّى رفع يدَهُ وضربَهُ على وجههِ ضربةً شديدةً ، وحملَهُ وألقاهُ على الأرضِ ثم بركَ فوقَهُ يضربُهُ ، ولما رأتْهُ أمُّ الفضلِ زوجةُ العباسِ بنِ عبدِ المطَّلبِ أخذتْ عمودًا وضربَتْ بهِ أبا لهبٍ فشجَّت رأسَهُ.

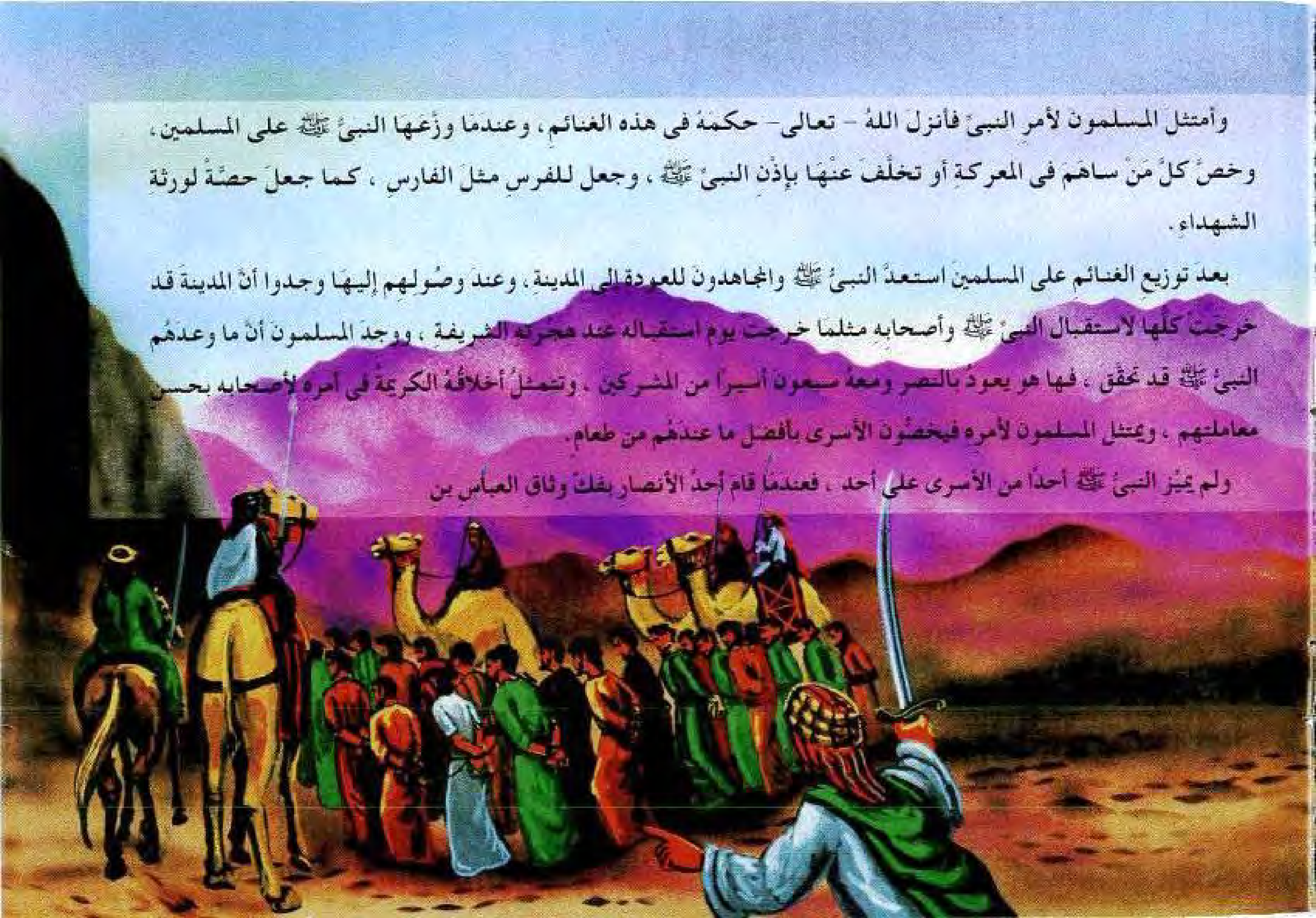
وسرَى خبرُ الهزيمةِ في أرجاء مكةَ فعمَّ الحزنُ أهلَها ، وأصبحتْ قريشٌ كلُّها في مأتمٍ كبيرٍ ، فلا يوجدُ بيتٌ من بيوتِهِم إلا وفيه قتيلٌ أو جريحٌ أو أسيرٌ.

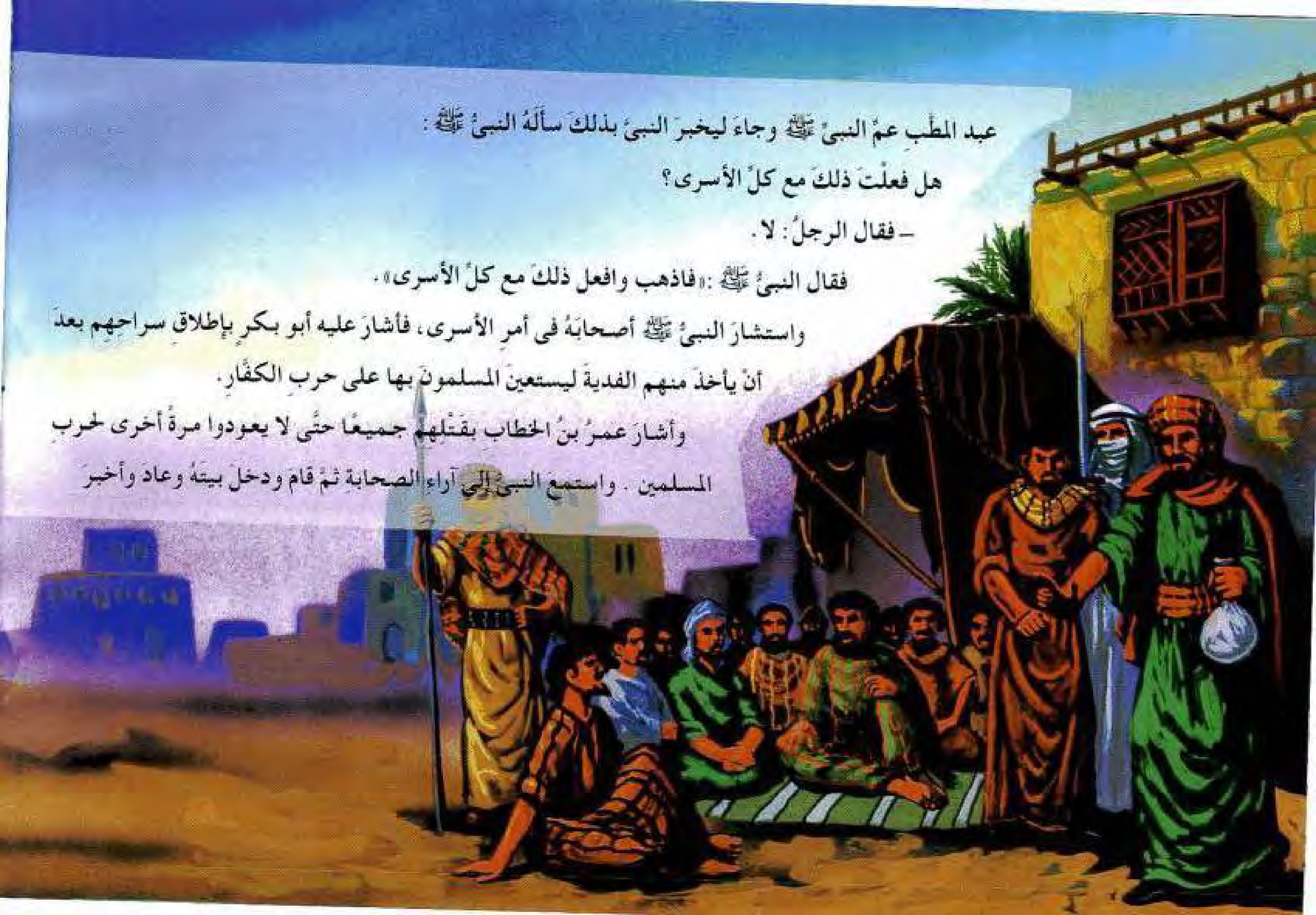
غنِمَ المسلمونَ غنائمَ كثيرةً من جيشِ الأعداءِ المنهزم. فأمرهم النبيُّ ﷺ بجمعِها في مكانٍ واحدٍ وألا يقتربَ منها أحدٌ حتَّى يحكُمَ اللهُ فيها .

وأمتثل المسلمون لأمرِ النبيِّ فأنزلَ اللهُ - تعالى - حكمهُ في هذه الغنائمِ، وعندما وزّعها النبيُّ ﷺ على المسلمين، وخصَّ كلَّ مَنْ ساهَمَ في المعركةِ أو تخلَّفَ عنْها بإذْنِ النبيِّ ﷺ، وجعل للفرسِ مثلَ الفارسِ، كما جعلَ حصّةً لورثةِ الشهداءِ.

بعدَ توزيعِ الغنائمِ على المسلمينَ استعدَّ النبيُّ ﷺ والمجاهدونَ للعودةِ إلى المدينةِ، وعندَ وصُولهِم إليها وجدوا أنَّ المدينةَ قد خرجتْ كلّها لاستقبالِ النبيِّ ﷺ وأصحابهِ مثلما خرجتْ يومَ استقبالهِ عند هجرتهِ الشريفةِ، ووجدَ المسلمونَ أنَّ ما وعدهُم النبيُّ ﷺ قد تحقّق، فها هو يعودُ بالنصرِ ومعهُ سبعونَ أسيرًا من المشركين، وتتمثلُ أخلاقهُ الكريمةُ في أمرهِ لأصحابهِ بحسنِ معاملتِهم، ويمتثلُ المسلمونَ لأمرهِ فيخصُّونَ الأسرى بأفضلِ ما عندهُم من طعامٍ.

ولم يُميِّزِ النبيُّ ﷺ أحدًا من الأسرى على أحدٍ، فعندما قامَ أحدُ الأنصارِ بفكِّ وثاقِ العباسِ بن





عبد المطَّبِ عمّ النبيُّ ﷺ وجاءَ ليخبرَ النبيَّ بذلكَ سألَهُ النبيُّ ﷺ :

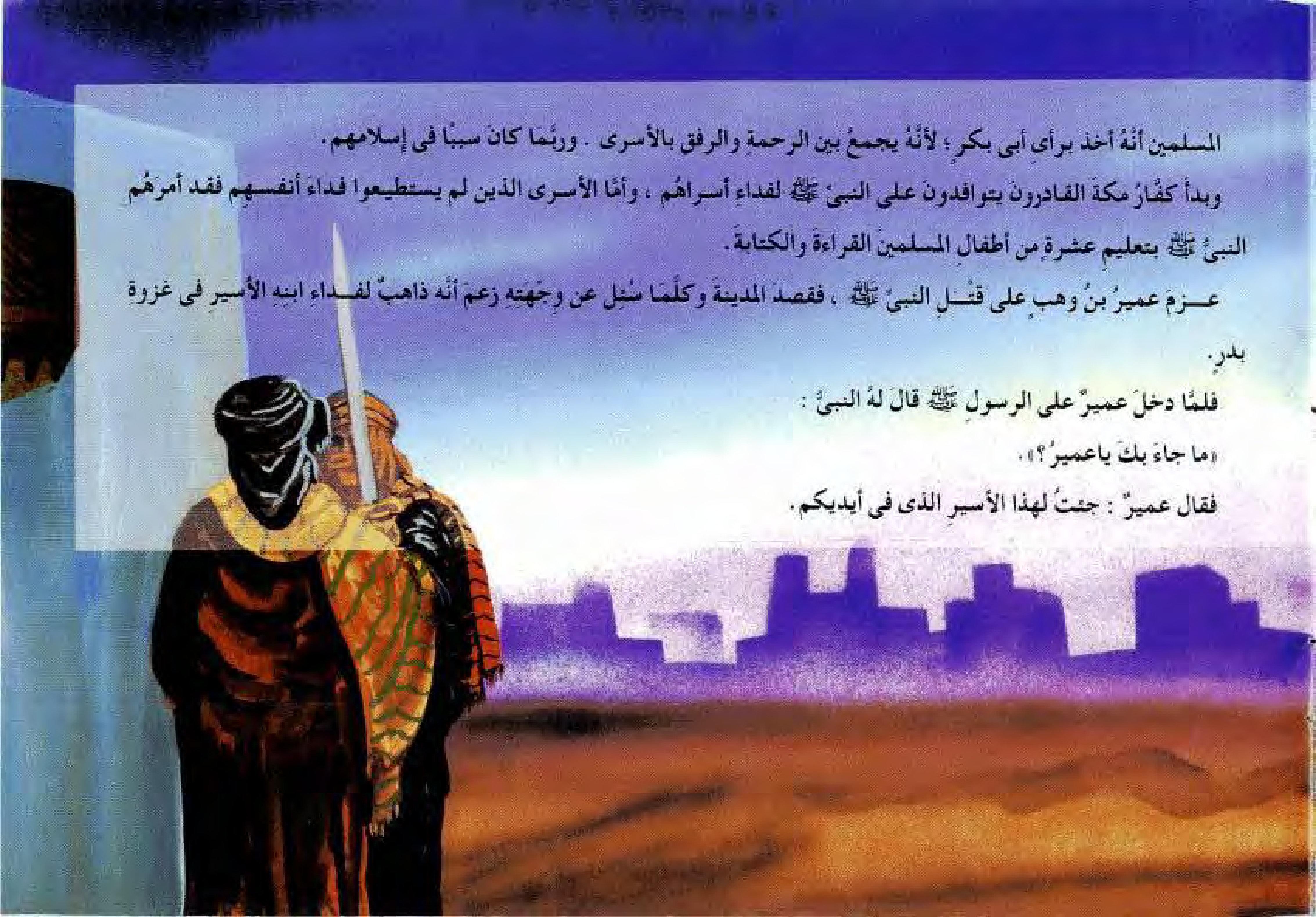
هل فعلْتَ ذلكَ مع كلِّ الأسرى؟

ـ فقال الرجلُ: لا.

فقال النبيُّ ﷺ :«فاذهب وافعل ذلكَ مع كلِّ الأسرى».

واستشارَ النبيُّ ﷺ أصحابَهُ في أمرِ الأسرى، فأشارَ عليه أبو بكرٍ بإطلاقِ سراحِهم بعدَ أنْ يأخذَ منهم الفديةَ ليستعينَ المسلمونَ بها على حربِ الكفَّارِ.

وأشارَ عمرُ بنُ الخطابِ بقتْلِهم جميعًا حتَّى لا يعودوا مرةً أخرى لحربِ المسلمين . واستمعَ النبيُّ إلى آراءِ الصحابةِ ثمَّ قامَ ودخلَ بيتَهُ وعادَ وأخبرَ



المسلمين أنَّهُ أخذ برأيِ أبي بكرٍ ؛ لأنَّهُ يجمعُ بين الرحمةِ والرفق بالأسرى . وربَّما كانَ سببًا في إسلامهم .

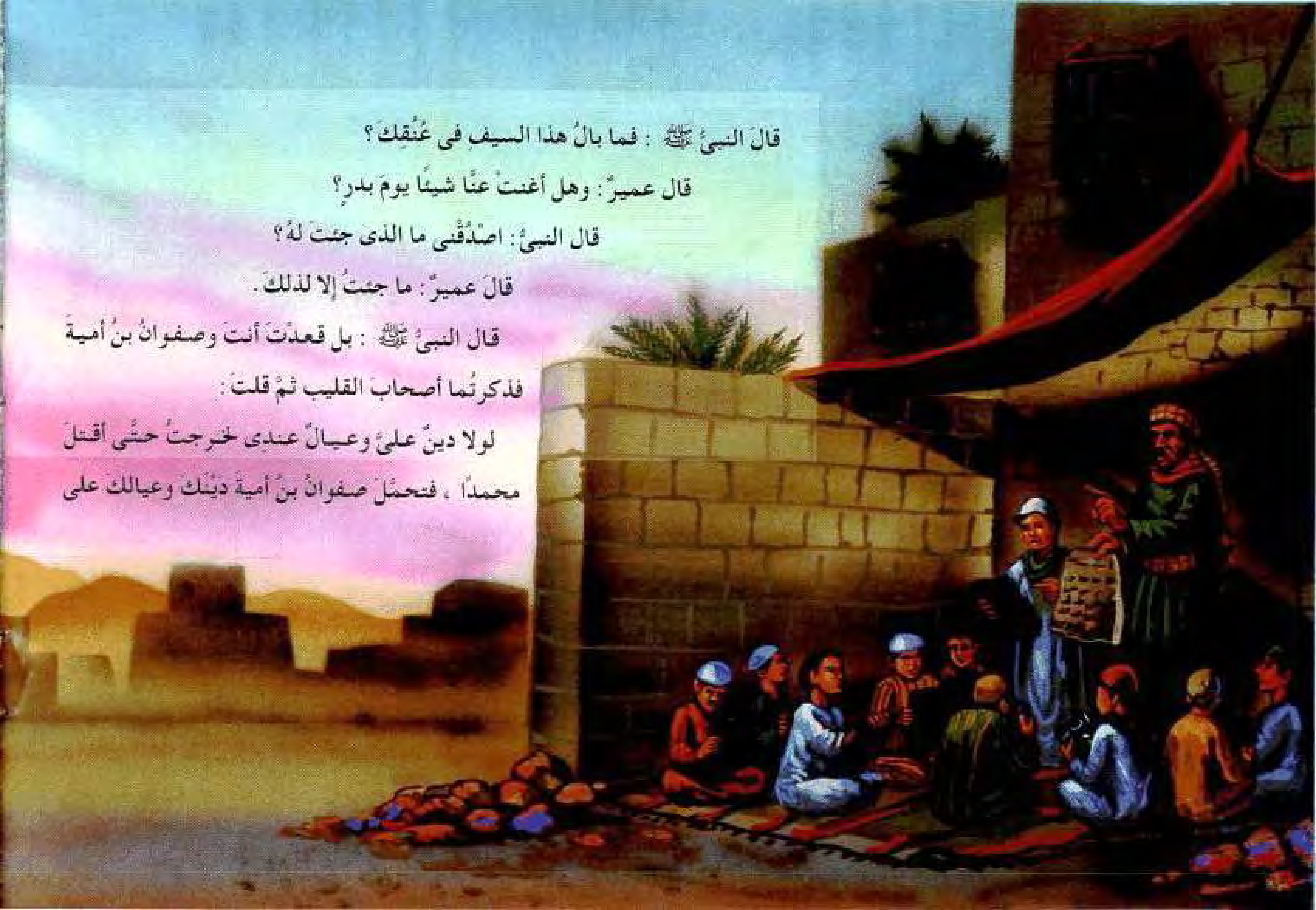
وبدأ كفَّارُ مكةَ القادرونَ يتوافدونَ على النبيِّ ﷺ لفداءِ أسراهُم ، وأمَّا الأسرى الذين لم يستطيعوا فداءَ أنفسهم فقد أمرَهُم النبيُّ ﷺ بتعليمِ عشرةٍ من أطفالِ المسلمينَ القراءةَ والكتابةَ .

عزمَ عميرُ بنُ وهبٍ على قتلِ النبيِّ ﷺ ، فقصدَ المدينةَ وكلَّما سُئِل عن وجهتِهِ زعمَ أنَّه ذاهبٌ لفداءِ ابنِهِ الأسيرِ في غزوةِ بدرٍ .

فلمَّا دخلَ عميرٌ على الرسولِ ﷺ قالَ لهُ النبيُّ :

«ما جاءَ بكَ ياعميرُ ؟» .

فقال عميرٌ : جئتُ لهذا الأسيرِ الذى فى أيديكم .



قالَ النبيُّ ﷺ : فما بالُ هذا السيفِ فى عُنُقِك ؟

قال عميرٌ: وهل أغنتْ عنَّا شيئًا يومَ بدرٍ؟

قال النبيُّ: اصْدُقْنى ما الذى جئتَ لهُ؟

قالَ عميرٌ: ما جئتُ إلا لذلكَ.

قالَ النبيُّ ﷺ : بل قعدْتَ أنتَ وصفوانُ بنُ أميةَ فذكرتُما أصحابَ القليبِ ثمَّ قلتَ:

لولا دينٌ علىَّ وعيالٌ عندى لخرجتُ حتَّى أقتلَ محمداً ، فتحمَّلَ صفوانُ بنُ أميةَ دينَكَ وعيالَكَ على



أن تقتلني له، واللهُ حائلٌ بينَكَ وبينَ ذلك.

قال عميرٌ: أشهدُ أنّكَ رسولُ اللهِ، فوالله إنّ هذَ الأمرَ لم يحضُرْهُ إلا أنا وصفوانُ. وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وإنّ محمداً رسولُ اللهِ، والحمدُ للهِ الذى هدانى للإسلام.

قال النبىُّ: فقِّهُوا أخاكم فى دينهِ وعلِّمُوهُ القرآنَ وأطلقوا له أسيرَهُ.

انتهتْ غزوةُ بدرٍ التى كانَتْ المعركة الفاصلةَ بين الحقِّ والباطلِ، انتهت بانتصار المسلمين ورفْعِ رايةِ الإسلامِ فى السماءِ عاليةً، وكانَتْ أولى الخطواتِ الجهاديّةِ فى طريقِ إذلالِ المشركين وكسر شوكتهم.



رقم الإيداع ٩٥/٨٢١٠ الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-261-429-4